

ما بعد المحافظين الجدد

«قبل انتخابات عام 2000 قام المحافظون الجدد في الولايات المتحدة ببلوره أجندته للسياسة الخارجية تستند على مفاهيم "تغيير النظم والهيمنة الحميدة والقطبية الواحدة والأستباقية".

"Regime change, benevolent hegemony, unipolarity and pre-emption" والتي صارت السمات المميزة للسياسة الخارجية لأدارة الرئيس بوش ، وتمتد جذور هذه المفاهيم إلى الأربعينات من القرن الماضي وحتى نهاية الحرب الباردة ، تمخضت عنها أربعة مبادئ رئيسية للاتجاه المحافظ الجديد - : Neo-conservatism

1. اهتمام بالديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم وبالسياسات الداخلية للدول وأن تعبر السياسة الخارجية عن القيم الأمريكية .
2. احتجاد بأن القوة الأمريكية يجوز استخدامها لتحقيق أهداف أخلاقية وأنه نظراً لضعف عملية اتخاذ القرار الجماعي على المستوى العالمي فعلى الولايات المتحدة التحرك أو لا ثم السعي بعد ذلك للحصول على الموافقة الدولية .
3. شك حول قدرة القانون الدولي و المؤسسات الدولية على إيجاد حلول جادة لمشاكل الأمن في العالم وعدم ثقلاً في كفاءة منظمة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار العالمي ، والتركيز في المقابل على مؤسسات تتضم دولاً تشارك في المبادئ الديمقراطية .
4. رؤية مضادة لبرامج الهندسة الاجتماعية الطموحة .

ويمثل الاتجاه المحافظ الجديد أحد أربعة مدخلات السياسة الخارجية الأمريكية ، فهناك بالإضافة إليه "المدخل الواقعى" لمدرسة كيسنجر التي لا تأخذ في الاعتبار الطبيعة الداخلية لنظم الدول الأخرى ، " والمدخل الليبرالي العالمي " الذي يتجاوز سياسات القوة ويسعى إلى نظام دولي مبني على القانون والمؤسسات وأخيراً "الاتجاه الوهلي الأمريكي" الذي يركز على الدليل الأمريكي ويميل للانعزالية .

تطور حركة المحافظين الجدد

* ولقد تناول "فوكوياما" في كتاب صدر له منذ شهور قليلة بعنوان "ما بعد المحافظين الجدد After the Neocons" تطور حركة المحافظين الجدد ونشأتها في منتصف الثمانينيات وأوائل الأربعينيات على يد مجموعة من المفكرين اليهود في City College بنيويورك تمثل الليبار الأول الذي اتسم بمعارض ضد الشيوعية والليبرالية على المسواء ، وبرز التيار الثاني من خلال جريدة "The Public Interest" التي أسسها ليونيل كريستول في عام

1965 أثناء فترة برامج الهندسة الاجتماعية الطموحة التي دعى إليها الرئيس جونسون "لمحاربة الفقر وأقامه المجتمع العظيم" ، ولقد تولى نقد الجريدة لهذه البرامج مؤسسة بذلك التحول نحو اليمن في السياسة الاجتماعية لعقدي الثمانينات والتسعينات و لم تتعرض الصحيفة لمسألة تغيير النظم والتي تسبب إلى ليوشتراوس أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو وهو يهودي الماني هاجر إلى الولايات المتحدة في منتصف الثلاثينات ، وقد تولى المبرت وولستون الذي عمل بمؤسسة راند للدراسات في الخمسينات ثم في التسعينات بجامعة شيكاغو أهداه تشكيل أفكار "شراوس" وأسقطها على الواقع المعاصر لتصبح منهج المحافظين الجدد في تغيير النظم السياسية ، وكما ركز "ولستون" على قضايا الأنتشار النووي "والردع الممتد" **Extended Deterrence** وأهمية قدرات الضربة الثانية في الردع النووي وخطورة الدول النووية الناشئة على الاستقرار العالمي ، واقتراح التحول في الحروب القادمة نحو أشكال من القتال تعتمد على فرق خفيفة ومتعددة وسريعة مزودة بأحدث تكنولوجيات الانحسار وال المعلومات وذلك في إطار ما اسماه "الاستهداف الدقيق" **Precision Targeting** الذي سيقلل من الخسائر الأمريكية ويتيح فرصاً للتدخل الأمريكي في عدة مناطق من العالم ، وقد تلمذ "بول وولسووتر" نائب وزير الدفاع الأمريكي الأسبق ورئيس البنك الدولي حالياً وغيره من المسؤولين بقيادة بوش مثل ريتشارد بيرل وخليل زاد على يد "برت وولستون" ، وتولى "رونالد رامسفيلد" تطبيق أفكاره في مجال استراتيجية الحرب وأهداه هيكلة القوات المسلحة الأمريكية فيما يعرف الان " بالتحول العسكري Military Transformation" .

* وقد أيد المحافظون الجدد الرئيس ريجان وأدارته ذات التوجه المحافظ التقليدي في مداقنه من 1981-1989 ، مما أدى إلى إنشاء "الجهاز المركزي لل情報" وكما كانوا معه في سياساته الداخلية الداعية إلى تحرير الاقتصاد ، وفي التسعينات أمند التلاقي بين المحافظين الجدد والتقاليدن ليشمل شوائر أخرى مثل الثقافة والدين.

* صدر كتاب "Present Dangers" في عام 2000 لوليام كريستول وروبرت كاجان ليحدد أسس السياسة الخارجية الأمريكية الحزب الجمهوري وتنحصر حول التفوق العسكري والتحالفات الدولية وشبكة الصواريخ للدفاع عن الأرض الأمريكية وأهمية تغيير النظم غير الديمقراطي والهيمنة الحميضة التي ستسخدم أمريكا قوتها من خلالها لأرساء نظام عالمي ديمقراطي وسلامي ، كل ذلك الأسس تبلورت بشكل محدد وتفصيلي في استراتيجية الأمن القومي لقيادة الأمريكية بعد أحداث سبتمبر 2001 .

استراتيجية الأمن القومي

نشرت إدارة الرئيس بوش وثيقة "استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة" في سبتمبر 2002 ، ولعل أهم سمة مثيرة للجدل في هذه الوثيقة هي المتعلقة بحقيقة التحرك الاستباقي ، فقد أكدت الوثيقة على أن الخطر الذي يهدد الأمة هو تشبّك الراديكالية (التطرف الإسلامي) مع التكنولوجيا (أسلحة الدمار الشامل) وبالتالي فعلى أمريكا التحرك ضد هذا التهديد الناشئ قبل أن يتشكل ، والاستباق في الحركة واتخاذ إجراءات أحادية الجانب ليست جديدة في السياسات الأمريكية ولكن ما هو غير مسبوق في وثيقة الأمن القومي لأدارة الرئيس بوش هو توسيع مفهوم الاستباق التقليدي Preventive Pre-emptive ليشمل الحرب الوقائية ، في بينما تعني الحرب الاستباقية أجهاز عملية عسكرية وشيكة فإن الحرب الوقائية تعني تدخل عسكري لمواجهة تهديد افتراضي بعيد المدى قبل شهور أو سنوات من احتمال تكونه ، ويستند منطق الوثيقة في ذلك على عدم جواز الفصل بين مفاهيم الحرب الاستباقية والوقائية في عصر يتحمل فيه تملك الإرهاب للسلاح النووي وعليه فالولايات المتحدة مضطورة للتحرك داخل الدول لخلق ظروف سياسية تمنع أصولاً ظهور الإرهاب ولقد أثارت تطبيقات هذه الوثيقة في أفغانستان والعراق والشرق الأوسط سجالاً على الساحة السياسية الأمريكية وكما اعترض عدد من قيادات القوات الأمريكية على استراتيجية الحرب لرامسفيلد وطالبوها مراجعاً باستقالته قبل انتخابات الكونجرس الأخيرة التي أدت إلى الأطاحة به .

السياسة الخارجية في الميزان

ينتقد "فوكياما" زملاؤه من الجناح اليميني في إدارة بوش تقديرهم بتطبيق مبادئ المحافظين الجدد بشكل خاطئ وذلك بتضخيم التهديد الذي تواجهه الولايات المتحدة من قبل الأيديولوجية الإسلامية والتركيز فقط على الاستخدام المبكر للقوة دون اللجوء إلى الوسائل الدبلوماسية والقوة الدينية Soft Power والافتقار على تغيير النظم من خلال التخلص من الحكام دون خطة لبناء مؤسسات الدولة الديمقراطية بعد ذلك ، والأخفاق في تقدير رد فعل المجتمع العالمي لسياسة الهيمنة الحميدة وتطبيق استراتيجية فاشلة للحرب في العراق ورفض لمواثيق دولية مثل بروتوكول كيوتو ومحكمة العدالة الدولية دون تقديم أيه بداعٍ .

"ويرى "فوكياما" أن أمريكا في مفترق الطرق ويقترح سلسلة من التوجيهات الجديدة للسياسة الخارجية الأمريكية اطلق عليها مسمى Realistic Wilsonian نسبة إلى "الرئيس وودرو ويلسون" قد

ترى النور بعد هزيمة الجمهوريين في انتخابات التجديد النصفي للكونгрس وتنحور حول الآتي :-

1. نظراً لعدم القدرة على التنبؤ طويلاً المدى بشكل دقيق فإن اللجوء إلى الحرب الوقائية يجب أن يكون الملاذ الأخير وعلى أمريكا استخدام القوة اللينة في المقام الأول مما يتطلب إعادة تنظيم مؤسسات هذه القوة والمتمثلة في مكتب الديمقراطية والحكومة التابع لهيئة المعونة الأمريكية والمعهد الوطني للديمقراطية ومكتب حقوق الإنسان التابع لوزارة الخارجية ومبادرة المشاركة في الشرق الأوسط للتنمية السياسية والاقتصادية الخ.
2. بداية التحول في الصين عام 1978 وفي الاتحاد السوفيتي عام 1956 دليل على تغير النظم مع الوقت ، والتغيير في العالم العربي يمكن أن يتم من الداخل بواسطة نخبة صغيرة ومؤسسات المجتمع المدني حيث أظهرت التجربة في العراق أن التغيير عن طريق التدخل العسكري عملية مكلفة وغير مأمونه العواقب.
3. الاعتماد بشكل أكبر على مؤسسات مثل حلف "الناتو" وجامعة الدول الديمقراطية التي أنشئت في وارسو عام 2000 وأقامة مؤسسات جديدة للنظام العالمي تعمل بجانب المنظمات العالمية وتعامل مع التوسع في التحديات التي تواجه العالم .
4. العباءة الأكبر في مواجهة التطرف يقع على أوروبا الغربية حيث الأجيال الجديدة من أبناء المهاجرين المسلمين وليس في منطقة الشرق الأوسط.
5. على الدول التي تتلقى المساعدات من المجتمع الدولي قبل ول مبدأ "المشاركة في السيادة Shared Sovereignty" كشرط لتلقي المساعدات وأضفاء الشرعية على عمل الجهات الأجنبية في إرساء أصول الحكم الصالح داخل هذه الدول.

= وتبقى مجموعة من الأسئلة العالقة على الساحة الأمريكية : هل ستغير إدارة بوش سياساتها الخارجية بعد الفشل الذي منيت به في العراق ؟ وهل سيؤثر فوز الديمقراطيين في انتخابات الكونгрس في 7 نوفمبر على توجهات المحافظين الجدد ؟ وهل ستشهد الانتخابات الرئاسية القادمة تحولاً في الأفكار والسياسات ؟ هل أمريكا بالفعل في مفترق الطرق كما يقول فوكوياما ؟ أن مجموعات مهمة عبر طيف الحياة السياسية الأمريكية تشارك الاتجاه المحافظ الجديد في المبادئ الأساسية وأن اختلفت مع أفعال إدارة بوش وخاصة الحرب في العراق وبالتالي ويصرف النظر عن طبيعة الأشخاص أو الحزب الذي سيتولى الإدارة في المستقبل فأن هذه المبادئ ستبقى مؤثرة لفترة طويلة على النهج الأمريكي الخارجي وبالطبع ستتغير الأساليب والأشكال في الممارسة السياسية المبدئية أي أن التكتيكات ستحتاج لتغيير الأستراتيجية كما هي .